

دراسة فكرة «الإمامة» لكبار متكلمي المعتزلة

في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري

نيره دلير*

الملخص

يهتمّ هذا البحث بدراسة المعتقدات الدينية في موضوع «الإمامة» لعلماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري. ويعتبر النصف الأول من القرن الثالث الهجري فترة خاصة في تاريخ الإسلام ومن أبرز خصائصه هو سيادة منهج العقلانية. و «الإمامة» من القضايا الرئيسية التي أثارت وجهات نظر مختلفة من مُستهل الأمر وأدت بالتالي إلى تعدد المدارس الفكرية والكلامية، بما في ذلك أهمّ قضايا المدارس الدينية. ومن خلال دراسة الاستنتاجات العقلية لهؤلاء، يسعى هذا البحث الإجابة على هذا السؤال؛ ما معنى «الإمامة» من وجهة نظر علماء المعتزلة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري؟ ورداً على الادعاء الذي يطرح نفسه على هذا الأساس، هو عدم وجود التجانس في آرائهم في مجال «الإمامة»، حيث كانت آرائهم متضاربة يمكن تقسيمها، إلى مجموعات مختلفة. وكان أسلوب الإمامة المفضلة الفاضلة ورأي الإمامة الفاضلة مع نحجين مختلفين، من أهمّ معتقدات متكلمي المعتزلة في هذه الفترة والتي يمكن القول ما عدى عدد قليل منهم، اتفقت في نهاية الأمر كلّ من أتماط معتقدات المعتزلة مع السنة التاريخية في مجال الإمامة.

الكلمات الرئيسية: علماء المعتزلة، القرن الثالث الهجري، فكرة الإمامة، العقلانية.

* أستاذة مساعدة في فرع التاريخ، بأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، dalirnh@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/١/١٩، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٣/١٢

١. المقدمة

واجه المسلمون في القرن الثاني للهجرة قضايا جديدة على أثر الفتوحات الإسلامية وتوسّعت رقعة الدولة الإسلامية ومجتمعاتها وتلاققت فيها أفكار الشعوب المختلفة. وتوسّع الأراضي الإسلامية أدّى إلى تنوّع المجتمعات والمذاهب في المجتمع الإسلامي وإلى التفاعل بين شتى الشعوب من المسلمين ومن غير المسلمين. ومن خلال تفاعل المسلمين وتعرّفهم على الحضارات الهلنسية (الإغريقية) والإيرانية والهندية وعلى الأفكار المسيحية و الزرانشية والمانوية والبوذية والبراهمية، وإضافة إلى ما كان بين الأديان من صراع ونزاع، ظهرت تحديات كثيرة بين المسلمين والديانات غير الإسلامية والتوحيدية. وعلى أثر ظهور الخوارج و المرجئة والقدرية و الجهمية في نهاية القرن الأول للهجرة، انتعشت المناظرات حول المعتقدات الدينية كالإيمان والقضاء والقدر وحول قدرة الإنسان والاستطاعة وشروط الإمامة في المجتمع الإسلامي. وجاءت على إثرها ردود فعل متباينة من جانب الفقهاء والرّوات وباقي علماء المسلمين حول آراء هذه التيارات السياسية وأنّخذ الفقهاء مواقف مختلفة في هذا الصدد. وأول ردود فعل على هذه المناظرات والبحوث كانت من جانب المفكرين كواصل بن عطا وعمرو بن عبيد، حيث تمثّلت بمغادرة حلقة دروس حسن البصري والتمسك ببعض آراء القدرية. وأدّت الآراء والحجج والبراهين الحديثة التي قدّمها واصل إلى انتعاش المناهج العقلانية بين المسلمين. وفي الشطر الثاني من القرن الثاني للهجرة، و مع انتشار أفكار واصل الدينية في أنحاءٍ مختلفة من المجتمع الإسلامي، ظهرت مدرسة المعتزلة.

وافتقار الحكومة الجديدة للشرعية في عهد الخلافة العباسية أدّى إلى دعم هذه المدرسة في مواجهتها لتيارات الفكرية العقلانية، وبدعم الخلفاء العباسيين (المأمون و المعتصم و الواثق) للمعتزلة على وجه التحديد في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري، انتشرت الأفكار العقلانية على نطاق واسع.

وظهرت في هذا العهد مجموعة أخرى من العقلانيين التابعين لهذا المنهج الفكري ممّن يقدّمون العقل على النصّ، وعند تباين العقل والنصّ يتّخذون جانب العقل. وكثيراً من المعتزلة كالجاحظ والحياض كانوا تحت ظلّ هذه الفئة. وفي القرن الثالث الهجري، أصبحت مدرسة

المعتزلة ممثلة لتيار الحركة العقلانية وانتعش مذهب المعتزلة في هذا العهد انتعاشاً كبيراً، ولعلت من بينهم وجوهٌ كأبو الهذيل العلاف وأبو جعفر الإسكافي وجعفر بن حرب ونظام وثمامه بن الأشرس و الجاحظ. ومع التأكيد على دور العقل كمصدر مستقل لفهم الحقائق الدينية، قام علماء الكلام بتأليف كتب دينية حول مواضيع التوحيد المختلفة كصفات الله و الإمامة والمعاد، وحاولوا برهنة القضايا الدينية عن طريق الحجج العقلانية والروائية.

ومن ناحية أخرى احتلّ موضوع الإمامة الصدارة في الصراع بين المسلمين ومنازعاتهم، ومنها ظهور آراء ومدارس فكرية شتى في المجتمع الاسلامي بعد رحلة الرسول (ص) والتي أدت إلى ظهور حروبٍ وصراعات كثيرة في القرون الهجرية الأولى. واستمر النزاع حول الإمامة في القرن الثالث، ولكن تحوّل ظاهره العام إلى مسرحٍ لصراعٍ مباشرٍ للتعبير عن الآراء والمعتقدات المختلفة.

وبالتالي، فإنّ دراسة فكرة الإمامة عند المعتزلة - الذين استولى منهجهم العقلي على المجتمع الإسلامي في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري - هو الموضوع الذي يستقصيه هذا المقال بعد محاولة لاستكشاف معتقدات المعتزلة في مجال الإمامة من وجهة نظر كبار علماء المعتزلة لهذه البرهة الزمنية. و هذا البحث الذي تمّ بالمنهج الوصفي - التحليلي يدّعي بأنّ للمعتزلة آراء مختلفة في موضوع الإمامة وقد تمّت دراسة هذه القضية الدينية الهامة في معتقدات المعتزلة للقرن الثالث بقرائنها وتعاييرها وتفسيرها المختلفة، ويمكن القول إنّّه على الرغم من اختلاف الأدلة العقلية للمعتزلة في مجال وجوب الأفضلية وغيرها من المواضيع التي لها علاقة بالإمامة، فإنّ آراء وتعليقات علماء المعتزلة لهذه الفترة الزمنية، باستثناء بعضها، تتفق في النهاية مع الموضوعية التاريخية المحققة.

والعقل هو من المفاهيم الهامة المستخدمة في هذه الدراسة. والعقل في معاجم العربية الأصيلة يعني؛ الحظر، والمنع، والاعتقال، والمعرفة، والاستيعاب، والإدراك وتدبّر أمرٍ ما (ابن منظور، ١٩٨٨: ج ٧، ٣٢٦؛ الزبيدي، د. ت: ج ٨، ٢٥). أكثر مشتقات العقل تعني الردع والإدراك. أي أن العقل نوع من الوجدان أو الضمير والمعرفة المؤدية إلى الإدراك البشري المانع لقبح الأعمال. ويعادل مفردة العقل في اللغة الإنجليزية المفردات التالية

(Webster, 1962: Vol. 2, 935, 1502) Reason, Intellect, Wisdom, Logos «Rational» بمعنى استدلال، دليل وحجّة، دليل، تقديم الدليل، الفهم، الإدراك، القدرة على التفكير المنطقي، الذكاء، الحكمة، المعرفة، العلم، الكلام الحكيم، الوعي، الشريعة والقانون (Webster, 1962: Vol. 2, 935, 1496, 1502).

«Rational» مشتق من مادة «Ratio» بمعنى النسبة (ibid: 1496) وتأتي هذه المفردة في معجم وبستر الإنجليزي بمعنى التفكير المنطقي، العقلانية، معقول، عقلي، مُدِلّ وفكريّ منطقي (ibid). «Rational» أو العقل هو قدرة في الدماغ يعمل على كشف الحقائق المرئية الخارجية (الحقائق العلمية)، ويجعله مقدّمةً لبلوغ الغايات التي اختارها وفقاً للمصلحة (غولد وكولب، د.ت: ٥٨٦) في معجم وبستر «Reason» بمعنى الدليل، العلة، الحافز، القدرة على الإدراك والمنطق، شكل من أشكال التفكير، قدرة العقل البشري والقدرة التي من خلالها يستطيع الإنسان على التعرّف والحكم والتمييز (ibid: 1592). «Reason» العقل الذي يُدرّك الحقائق ويتقبّلها (غولد وكولب، د.ت: ٥٨٦). مصطلح العقلانية، يعادلها في الإنجليزية «Rationality» و مشتق من مادة «Ratio» بمعنى النسبة (Webster, 1962: Vol. 2, 1496). العقل من المفردات المهمّة في الفلسفة وعُرضت له تعريفات مختلفة.

وحسب رأي المتكلمين، العقل دليل وحجّة عقليه و هو يعني البرهان المبني على الدليل العقلي ويستخدم في إثبات المعتقدات الدينية أو إلزام الحجّة على المعارضين. ويقابله في العربية الحجج المنقولة (دهخدا، ١٣٧٧: ج ١٠، ١٦٠٠٥)، في حين يذكر جارالله أن المعتزلة بالغوا في هذا الأمر حتى زعموا أن نصوص الوحي (آيات الله) تابعة للعقل وفي حالة تباين الوحي والعقل يتّخذون جانب العقل (١٩٤٧: ٢٤٧-٢٤٨)، ويعتقد بوعمران أن العقل المعتزلي تابع للوحي وغالبية المتكلمين من المعتزلة يؤكّدون على ذلك بأنّ العقل وحده غير قادرٍ على بيان كافة الأمور (١٣٨٢: ٤١٢)، كما يشير نجاح محسن إلى هذا الموضوع بأنّ المعتزلة يعتقدون أنّ العقل أساسهم الواضح في دراسة الفكر الإسلامي، لاسيّما في الأقوال السياسية وإنهم كانوا يحاولون عن طريق العقل محاربة التيارات الفكرية الأخرى في المجتمع الإسلامي.

ومن أهمّ مجالات الصراع بين هذه المجموعات والتيارات الفكرية هو موضوع الإمامة (١٣٨٥ : ٨-٩). كما يذكر ابن زيد؛ لقد منح المعتزلة العقل دوراً أساسياً وقدموه على الشرع ويعتقدون أنّ الحجج السمعية تابعة للأدلة والحجج العقلية (١٣٩١ : ٧٤). وتجدد الإشارة إلى أنّ هناك معتقدات مختلفة عن العقل في المجتمع الإسلامي وكذلك بين المعتزلة ولا يسعنا في هذا المقال التطرّق إلى كافة أبعاده ودراسته دراسة شاملة. و على الرغم من المفاهيم المتضاربة والمتباينة عن العقل ودوره، يحاول هذا البحث الإجابة على سؤالين هما: ما هي مكانة الإمامة عند علماء المعتزلة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري و هو مقطع زميني خاص في التاريخ السياسي و الفكري؟ و ما هو رأيهم حول مسألة الإمامة و هي من أهمّ المسائل الكلامية؟

ونظراً لتشقّق الشيعة وانقسامهم بعد رحيل كلّ من أتمّتهم، لم ترسم الصورة النهائية للإمامة برأي الشيعة الإمامية بعد، كما أن للشيعة الزيدية والاسماعيلية تعاريفاً خاصة أخرى. وبطبيعة الحال ونظراً للإلتجّاهات الزيدية لكثير من معتزلة هذه الفترة، يمكن ملاحظة تأثير قبول الإمامة المفضّلة، وهو من العناصر المهمّة لإمامة الزيدية في معتقدات المعتزلة. ويُعتبر نموذج الإمامة المفضّلة الفاضلة من أهمّ العناصر المؤثّرة في معتقدات المعتزلة لهذه البرهة الزمنية. وينبغي تسليط الضوء على الإمامة من وجهة نظر أهل السنّة بمعناها الواسع لقيادة الأمة، ومن هذا المنطلق، الإمامة في هذا البحث تعني قيادة الأمة بمعناها العام وينبغي اعتبار تعريفها وأدائها بعيداً عن التعاريف اللاحقة للإمامة في العهود الأقرب، لاسيّما من وجهة نظر الإمامية. ويعتقد الشيعة أنّ مصدر النبوة هم مصدر الإمامة كما لهما هدف واحد. فالنبوة فضل الله الخاصّ والإمامة فضله العام (طوسي، ١٣٨٤ : ج ٤، ١٣١-١٣٢). في حين يرفض المعتزلة رأي الشيعة على صعيد مقارنة الإمامة بالنبوة، ويعتبرون أنّ علّة وجود هذين الأمرين يختلفان ولا يتفقان معاً (محسن، ١٣٨٥ : ١١٧).

ولا يعتقد المعتزلة بالإمامة كحماية مصالح الدين. ويعتبرون الهدف من تعيين الإمام هو رعاية المصالح الدنيوية، لأنّ الإمام ليس عنصراً لإبلاغ وحفظ الدين بل منقذ القوانين والقواعد والمشرف على المصالح الدنيوية (المصدر نفسه : ١٢٠). ويعتقد نجاح محسن بحق

٣٠ دراسة فكرة «الإمامة» لكبار متكلمي المعتزلة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري

أنّ أساس اختلاف المسلمين في المواضيع المتعلقة بالإمامة من وجهة نظرهم يعود إلى الغاية المنشودة من الإمامة، واختلافهم حول المواضيع الأخرى ككيفية إثبات الإمامة وتعيين الإمام نابع من استيعابهم لمفهوم غاية الإمامة. واستيعاب المسلمين في هذا المجال يمكن تلخيصه في منهجين أساسيين: منهج غالبية المسلمين الذين يعتبرون الإمامة زعامة دنيوية ودينية بحتة ومنهج الشيعة الإمامية الذين يعتبرون الإمامة ديناً وعلى غرار النبوة. ومن هذا المنطلق يعتبر الشيعة الإمامة من أصول الدين (ابن مطهر حلي، ١٩٦٢: ج ١، ٧٨؛ نقلاً عن محسن، ١٣٨٥: ١٢٠).

وهناك تأليفات كثيرة حول المعتزلة و أفكارهم ومعتقداتهم الكلامية وكذلك حول دورهم في الحياة الفكرية والسياسية في المجتمع الإسلامي. ومن أسبق البحوث في العالم العربي، يمكن الإشارة إلى كتاب المعتزلة لزهدي جارالله.

ومن التأليفات الأكثر حداثة والأكثر أهمية والأقرب من نطاق هذه الدراسة يمكن الإشارة إلى كتاب أفكار المعتزلة السياسية تأليف نجاح محسن والذي يتطرق فيه إلى الأصول الكلامية للمعتزلة على ضوء المواضيع السياسية وينسّق الأمر من هذا المنطلق، وكتاب المحنة تأليف فهمي جدعان؛ وكما هو واضح من عنوانه، يتطرق في كتابه هذا إلى محن وأحداث وقضايا المعتزلة. ولّما يهتم هذا الكتاب إلى الجانب الكلامي وكثيراً ما يُسلط الضوء على الأبعاد السياسية للمعتزلة في زمن المحنة. ويعتقد جدعان أن تيار المحنة كان غالباً ما يستهدف إطلاق عنان الخليفة للتصرف في الشؤون المختلفة من أن يكون تياراً دينياً بحتاً (جدعان، ٢٠٠٠: ٦٩) كما ألف شيخ بوعمران كتاب قضية الاختيار في الفكر الإسلامي والردّ على المعتزلة كما اهتم نصر حامد أبو زيد في كتابه بموضوع الاستعارة في القرآن الكريم حسب رأي المعتزلة.

وفيما يتعلّق بالمؤلفات الكلامية والفكرية في الفترة الإسلامية، قد خصّص الباحثون الغربيون فصلاً بهذا الشأن. يتطرق مادلونغ بشكل أساسي إلى معتزلة القرن الرابع الهجري، ولكنه يشير باختصار أيضاً إلى القرن الثاني والثالث. وبقدمه تقريراً عن الخياط المعتزلي، يذكر أن آراء الشيعة والمعتزلة حول الإمامة في القرن الثاني يتعارضان ولا يتفقان، وبتقريره

عن الأشعري يستنتج أن بعض أتباع المعتزلة في الشطر الثاني من القرن الثالث مع قبولهم للآراء الأساسية للإمامية في شأن الإمامة التحقوا بالإمامية مع التزامهم بالاعتزال (مادلونغ، ١٣٨٧: ١٥٣) ويعتقد كرونه أن كافة المعتزلة تقبلوا النظرية الشرعية للخلفاء الراشدين أو أنهم التحقوا بالشيعة بكل معنى الكلمة، وربما حدث ذلك على مدى القرن الثالث الهجري (١٣٨٩: ١٢٦) كتاب الكلام و المجتمع في القرن الثاني و الثالث الهجري - تأريخاً عن الفكر الديني في مطلع الإسلام وهو كتاب قيّم لفان اس كتبه باللغة الألمانية وتمت ترجمته باللغة العربية كما تُرجمَ باللغة الفارسية ولكن لم يُنشر بعد.

واستخدم في هذا البحث مقتطفات من هذه الترجمة. وبعد دراسة التمهيدات التاريخية لتطور الكلام والتركيز على المناطق المختلفة للعالم الإسلامي ودراسة الكلام في هذه البرهة الزمنية، يتطرق فان اس في كتابه هذا إلى دراسة التفاعلات والتداخلات و إلى تأثير المجتمع الإسلامي في القرن الثاني والثالث الهجري على تشكيل المذاهب الكلامية.^١ ومنهج فان اس في تاريخ علم الكلام منهج يعتمد على التحليل التاريخي وعلم الاجتماع ويسعى إلى تحليل قضايا علم الكلام في سياق تاريخي وفي إطار علم الاجتماع. وتعتمد عناصر الكتاب على المدن والبيئات الإسلامية المختلفة في القرن الثاني و الثالث الهجري وعلى دراسة الرجال والمدارس الدينية والكلامية المختلفة في سياق الاتجاه التاريخي. ويضم الكتاب كافة المذاهب الإسلامية والسير الذاتية ومعتقدات الشخصيات المعروفة لعلم الكلام. كما قام ايزوتسو الياباني خلال دراسة المدارس الكلامية الأخرى، قام بدراسة معنى الإيمان في الكلام الإسلامي في آراء المعتزلة.

ومن بين التأليفات باللغة الفارسية، يلقي فاضل و شيخ الإسلامي نظرة شاملة و تعريفية على المعتزلة، كما يقتصر عددٌ من الباحثين على دراسة الأفكار الكلامية للمعتزلة بمنهج توصيفي (جعفري، ١٣٧٤: ٣٩-٤٦؛ سلطاني، ١٣٩٣: ١١-٢٨؛ آقاجاني قناد، ١٣٨٦: ١٤٣-١٦٨) أو الإفصاح عن رأي الخلفاء العباسيين بالفلسفة والكلام (مهديويان، ١٣٨٧: ٣٧-٧٢). وقام آخرون بالتطرق إلى الوظائف والدعاوي السياسية للمعتزلة في العهد الأول من الخلافة العباسية (يوسفوند، ١٣٩٠: ١-١٧). وبعد أن يُركّز

بجف زادة على موضوع أفضلية الإمامة حسب آراء الفرق الإسلامية المختلفة، لاسيما المعتزلة والأشاعرة والشيعة، يقوم بدراسة ونقد آرائهم في هذا المجال.

وقام مقدّم بدراسة مكانة النصّ في أصول الإمامة بأداءٍ تطبيقي لآراء المعتزلة والأشاعرة وأهل الحديث والإمامية، ولكنّه ركّز في هذا البحث على نقد جزءٍ من كتاب المدرسة في عملية التطور (مقدّم، ١٣٩١: ١٥-١١٩). ويقوم رباني كلبايكاني بدراسة موضوع الإمامة بشكل عام في المذاهب الإسلامية (رباني كلبايكاني، ١٣٨١: ٥٥-٧٦). كما قام آخرون بدراسة الفروق أو أوجه التشابه لمذهب الشيعة والمعتزلة من وجهة نظر علم الكلام (حول الاختلافات الجوهرية للمدرستين ← سبحاني تبريزي، ١٣٧١: ٤؛ حول مجالات التشابه ← جعفریان، ١٣٧٢: ٣٧-٤٤) مكانة الإمامة عند متكلمي الإمامية والمعتزلة والأشاعرة؛ جزءً من كتاب بحث الإمامة: دراسة آراء الإمامية والمعتزلة والأشاعرة، تأليف فريق تحت إشراف محمود يزدي مطلق (فاضل)، بحث يقوم بدراسة قضايا شتى تتعلق بالإمامة من وجهة نظر العلماء المسلمين، لاسيما علماء الشيعة ومقارنتها مع آراء الفرقين الكلامية الكبيرة: يعني الأشاعرة والمعتزلة. مكانة الإمامة وأهميتها مع دراسة مقارنة بين آراء الفرق الثلاثة الكلامية الثلاثة، الشيعة والمعتزلة والأشاعرة، وقام بتنسيقها فريق بحوث الكلام الإسلامي لجامعة العلوم الإسلامية الرضوية (يزدي مطلق، ١٣٨١: الباب الآخر). وفي هذه الكتب يتطرّق كل مؤلفٍ إلى جانب من قضايا المعتزلة في العهود المختلفة، في حين يسعى هذا البحث لتسليط الضوء بشكل خاص على بحث الإمامة ودراسة منهجهم في مجال أدلّتهم وحججهم العقلية وفي نطاق زمني يبلغ حوالي نصف القرن، والذي يُعتبَر من أهمّ العصور التاريخية السياسية للمعتزلة.

٢. المعتزلة والقرن الثالث الهجري

يتمتع الشطر الأول من القرن الثالث الهجري بأهميّة خاصة في تاريخ الإسلام. حيث المعتزلة ذوي الفلسفة العقلانية ولأول مرّة وبالاستعانة بقدرة السلطة الحاكمة، تمكّنوا من السيطرة على مجالات عديدة للبنية السياسية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي. وبناءً على ذلك

تميّزت هذه الفترة الزمنية والدور الذي قام به المعتزلة، تميّز بأهمية كبيرة. وبغض النظر عن المناقشات السياسية، يهتم هذا البحث بدراسة المعتقدات الكلامية لعلماء المعتزلة ويسلط الضوء على موضوع الإمامة. و«الإمامة» من أهمّ الأبحاث الكلامية التي أثارت الجدل منذ رحلة النبي (ص) وأدّت إلى ظهور الفرق وبعض المذاهب المختلفة. ووجهة نظر المدارس الكلامية في هذا السياق من شأنه أن يبيّن بطريقة أو بأخرى معتقداتهم الدينية وأبجاثهم الفكرية. وعليه، فإن التعرّف على معتقدات المعتزلة في فترة اتّصاهم بالبلاط الحاكم يتّسم بأهمية كبيرة. والعناء الذي يجنيه الباحث في دراسة أفكار المتكلمين للقرن الثاني والثالث الذين لم يبق من مؤلفاتهم أثر يُذكر، لم يترك للباحث سوى طريق واحد وهو أن يرسم خطة بنفسه على أساس أجزاء متناثرة من عقائدهم التي يجدها في المصادر المتاحة ويقوم بإعادة بناءها على أساس تلك الخطة التي رسمها؛ (نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٧٨-١٣٨٩: ٣٤٣) وعلى الرُغم من أن منهج هؤلاء بالنسبة لفلسفة العقلانية هو منهج معروف، ولكننا نجد اختلافاً واضحاً في تعاريفهم للعقلانية واستخدامها والتي تؤدي إلى فوارق جمّة وأحياناً متضاربة في موضوع «الإمامة» على مدى خمسون عاماً تقريباً من سطوتهم الفكرية والسياسية.

٣. الإمامة من وجهة نظر كبار علماء المعتزلة

١.٣ نموذج الإمامة الفاضلة . المفضولة

ينقل كرونه عدداً من أوجه الاشتراك بين المعتزلة والخوارج في مجال انتخاب الإمام في القرن الثالث الهجري، ويدعّ المعتزلة من أمثال الأصم وهشام الفوطي وعباد بن سليمان بالفوضويّة (الاناركية) الرافضين لحقيقة تعيين الإمامة والقيادة عن طريق الشارع المقدّس. ومن وجهة نظر هؤلاء متى ما فقدت الإمامة كفاءتها وتأثيرها يمكن الاستغناء عنها، لأنها تتحوّل إلى حكومة مستبدّة، وفي الحقيقة تصبح حكومة غير شرعية ومرفوضة (كرونه، ١٣٨٩: ١٢٦-١٢٩) أدرك أبوبكر الأصمّ (م ٢٠١ ق) - من متكلمي المعتزلة في القرن الثاني للهجرة - القرن الثالث في السنتين الأخيرتين من عمره، ومع ذلك، نظراً للميّزات الخاصة

لمعتقداته، نسّط الضوء عليه في هذا البحث. وكان من المعارضين لعلي بن أبي طالب ولهذا السبب طرده المعتزلة من بينهم (ابن نديم، ١٣٦٦: ٢١٤)، وكان من المعتقدين بالإجماع في انتخاب الإمام، ولم يعترف بإمامة علي (ع) عن طريق الإجماع واتفق الصحابة لأنها برأيه جاءت في ظروف حرجة وكان يستدلّ على ذلك بحضور بعض الصحابة في كلا الفريقين (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٩٨؛ ابن النديم، ١٣٦٦: ٢١٤؛ اشعري، ١٩٩٩: ٤٥٦) كان الأصم من المتكلمين الذين يتفوقون مع إمامة المفضول على الفاضل، وسبب اعتقاده يختلف عن كافة المعتزلة المعتقدين بهذا النموذج ويتفق مع إمامة المفضول على الفاضل لهذه الأسباب بالنسبة للآخرين لكون الفاضل؛ أمرٌ غير مستقرّ ويمكن ظهور شخصٍ أكثر فضيلةً في أيّ زمن كان (مسائل الإمامة، ١٩٧١: ٥٩-٦١) فلأصم رأي خاص في موضوع الإمامة، فهو يعتقد؛ إذا لاحظ الناس أحوال بعضهم البعض ولم يضيّعوا حقوق الآخرين، لم تكن هناك حاجة إلى إمام (الأشعري، ١٩٩٩: ٢٦٠) ومن بعض آراءه الكلامية أنّ خلق النار والجنة كان قبل القيامة، وهذا يتعارض مع آيات القرآن الكريم (المصدر نفسه: ج ١، ٩٨). ومن مؤلفاته تفسير القرآن، خلق القرآن، التوحيد، الحجة والرسول... (ابن النديم، ١٣٦٦: ٣١٣).

وكسائر علماء المعتزلة، يعتقد بشر بن معتمر (م ٢١٠ ق) المعتزلي أنّ الإنسان يبلغ حقيقة معرفة الله من خلال المشاهدة والاستدلال المنطقي، فبعد معرفة ذاته ومعرفة خلق الدنيا، عندها لابد أن يبلغ معرفة الله. وهذه المعرفة تُفرضُ عليه الطاعة والإمتثال لأوامر الشارع المقدّس. وبالإضافة إلى حجّية العقل باعتبارها مصدراً وسبباً للمعرفة، يؤمن بشر بحجّية الخبر (القرآن والأحاديث) أيضاً. واستناداً على ذلك فهو يحتج قائلاً: إنّ الله تعالى منح الإنسان الاستطاعة وأرسل الرّسل، وبذلك أتم أسباب التكليف للإنسان ويسر له المصلحة بهذا السبيل (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٨٩) ويقدم بشر المفاهيم والآراء الحديثة عن التوحيد والصفات الإلهية من خلال الحجج استناداً على مقدمات المنطق (العقل) والحواس، ويعتقد أنّ الخلق الإلهي تعني المشيئة الإلهية نفسها على سائر الأمور (الأشعري، ١٩٩٩: ٦٤)، ويعتمد أسلوب بشر على الاستدلال العقلي (المنطقي)، ولم يلتزم التزاماً مطلقاً بالنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة. وبانتقاده لبعض الصحابة

والخلفاء، يتطرق بشر إلى النقد أو الردّ على الأخبار والأحاديث وعلى آراء السلف حول عدالة الصحابة وفضيلتهم. وكان ضليعاً جداً بالمناظرة (محمود فاضل، ١٣٦٢: ٧٨) وكان يعتقد بأفضلية علي بن أبي طالب (ع)، وكسائر الزيدية كان يفصل بين الأفضلية وحقّ الخلافة (ابن مرتضى، ١٩٨٨: ١) وكان يعتقد أن الإمامة من حق اختيار الأمة وكان رافضياً لأفضلية الإمام وكان يعتمد في هذا المجال على الأخبار التاريخية وعلى كيفية انتخاب أبوبكر (نوحجي، ١٣٨٦: ٢-٤). وتميّزت عقيدته بتطبيق طريق الموازنة في تعيين درجات الصحابة والتي أصبحت أكثر انتشاراً وتوسّعاً من بعده (دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٨٣: ج ١٢، ١٨٠). ويعتقد أنّ مَنْ نُصِبَ للخلافة عن طريق الإجماع وكان يتمتع بصفات العدالة والحكمة ومعرفة كتاب الله وسنة نبيه (ص) يمكنه، ومن غير أن يكون الأفضل، أن يتولّى زمام الأمة كأبي بكر (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ج ١، ٧) وكان بشر يميل إلى الشيعة، ولهذا السبب اتهموه بالرفض في عهد الخليفة هارون الرشيد ورموه في السجن، ونظّم قصيدة تحتوي على أربعين ألف بيت يَرُدُّ من خلالها على آراء ومعتقدات مناوئيه (ابن المرتضى، ١٩٨٦: ٥٢). ولكنه كان مُقرّباً في عهد خلافة المأمون (المصدر نفسه). وكان مقرّباً بحقّ عليّ (ع) في الحرب مع مناوئيه وكذلك حول قضية التحكيم (الأشعري، ١٩٩٩: ٤٥٣، ٤٥٦). وكتب ابن نديم كتاباً عنه تحت عنوان الإمامة (ابن نديم، ١٣٦٦: ٢٠٥). تركت آراء بشر في موضوع الإمامة تأثيراً كبيراً على اهتمامات مدرسة بغداد. وكان يعتقد مذهب الزيدية ويؤمن بمعتقداتهم الأساسية في مجال الإمامة، أي أنه كان يعتقد بأفضلية الإمام علي (ع) وفصل الأفضلية من حق الخلافة (ابن المرتضى، ١٩٨٦: ٢١).

ثمّامة بن الأشرس (م ٢١٣ق): وكان مثقفاً مع ضرار بن عمرو في نظريته السياسية في موضوع الإمامة وهي أن شخصاً من غير العرب وإن كان نبطياً مسلماً يكون جديراً بالتقدير والإحترام أكثر من مسلم قريشي، وعليه، ينبغي تقديمه على القريشي في منصب الخلافة (دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٨٨: ج ١٧، ١٠٢). وكان يؤكّد على ضرورة كافة المعارف الإنسانية ويعتقد بحسن وقبح العقل بالنسبة للأشياء (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٩٥-٩٦). وأدّت حجّة العقل عند ثمّامة إلى تقديم آراء تتعارض بعضها مع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. منها أنه كان يعتقد؛ أنّ الأفعال لا تحتاج إلى فاعل وبناءً على ذلك كان

يستنتج قائلاً: الإرادة الوحيدة هي فعل الإنسان، وسائر الأفعال عنده «أحداث» ليس لها مُحدثاً (قاضي عبد الجبار، د.ت: ج ٩، ١١؛ ابن مرتضى، ١٩٨٨: ٣٤٦-٣٤٧).

أبو موسى مردار (د ٢٢٦هـ) من تلامذة بشر، وكأستاذه كان يرحح المفضل على الفاضل (مسائل الإمامة، ١٩٧١: ٥١-٥٢). وكان من رواد المدرسة الاعتزالية في بغداد المؤمنين بأرجحية مكانة الإمام علي (ع) ومن بعده أولاده الحسن والحسين (ع) وبرز من بين تلامذته جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر (الجعفرين) (قاضي عبد الجبار، د.ت: ٢٧٨؛ مادلونغ، ١٣٨٧: ٢٢٨) والمؤرخون والباحثون يعتبرون أن انتشار مدرسة المعتزلة ترتبط بشخصيته الزاهدة العابدة (نصري نادر، ١٩٥٠: ٢٦-٢٧).

كان جعفر بن حرب (٢٣٦هـ) من كبار المعتزلة في بغداد ومن تلامذة أبو موسى مردار ومن بين المعتقدات الثلاثة في موضوع الإمامة؛ واستناداً على السنة النبوية الشريفة يعتقد جعفر بضرورة رضی الفاضل بإمامة المفضل (مسائل الإمامة، ١٩٧١: ٤٩-٥٢)، وفي هذا المعتقد كان مماثلاً مع جعفر بن مبشر ومع معتزلة بغداد (ملطي، ١٩٧٧: ٣٤) وكان يُدعى جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر في المصادر بالجعفرين (ابن مرتضى، ١٩٨٨: ٤٣؛ ملطي، ١٩٧٧: ٣٨؛ خياط، ١٩٨٨: ٨١) وكان جعفر بن مبشر (م ٢٣٤هـ) يؤمن بالوجوب العقلي لمعرفة الله تعالى، ولكنه لم يُقر بالوجوب العقلي لمعرفة الإمامة ويستدل بالحجة: الإمامة من مصالح الدين وإقامة الحدود الشرعية (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٢١٠). وكان يعتقد بأفضلية الإمام علي (ع) على أبي بكر (إبن أبي الحديد، ١٣٧٨: ج ١، ٧). وبالنسبة للإمامة (الخلافة)، يعتقد كل من جعفر بن مبشر و جعفر بن حرب والإسكافي أن أفضل شخص لهذا المقام بعد رسول الله (ص) هو علي بن أبي طالب (ع)، وفي نفس الوقت يقرون بالإمامة المفضولة (أبوبكر) ويعترفون بها. ولذلك يعتبره بعض المؤلفين من الزيدية كما يعتبرون سائر جماعة المعتزلة في بغداد من الزيديين.^٢

والجدير بالذكر أن أوجه الاشتراك في الآراء حول الإمامة لا يعني الزيدية (دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٨٩: ج ١٨، ١٧٣) وحسب السنة النبوية الشريفة في تعيين بعض قادة الجيش، كان يؤمن بترجيح الإمامة المفضولة على الفاضلة مشروطاً برضى الفاضل

(ملطي، ١٩٧٧: ٣٤-٣٥؛ ابن ابي الحديد، ١٣٧٨: ج ١، ٧). ويرى أنّ سبب الإيمان بأفضلية علي (ع) هو شرط صحّة الإمامة ببيعته مع الخلفاء السابقين (ملطي، ١٩٧٧: ٣٤-٣٥). ولم يعني «الأفضل» الأسوة الأخلاقية فحسب، بل كان بمعنى العلم العقائدي الممتاز أيضاً. ولا يزال هذا العلم يُعرّف ببراعة وسيادة الفقيه حتى الآن؛ ولكن ابن مبشر يفسره بمعنى الصلاحية في بيان أصول علم الكلام (فان اس، ج ٤، لم يتم انتشار الترجمة الفارسية). وغالبية معتزلة بغداد ومنهم الإسكافي كانوا يعتقدون بالإمامة المفضولة وكانوا يقولون لامانع بأن يبايع المسلمون بالإمامة لرجل يعلمون أنه الأفضل وهناك من هو أفضل وأعلم منه. وفي إثبات المعتقدات الإيمانية يعتقد الإسكافي (م ٢٤٠هـ) بحجّة العقل. كما كان يعتبر العقل وسيلة لفهم ونقد النصوص والأخبار (الرويات)، ومصدراً لاكتساب الحقائق. وفي موضوع الإمامة، قام بدراسة نقدية للأحاديث والروايات التاريخية وبأسلوب استدلاي قام بمقارنة سلوك علي (ع) ومعاوية وعثمان وأبي بكر وعمر، ووفقاً للتمهيدات الروائية والشواهد التاريخية يبرهن أفضلية علي (ع) على الآخرين (اسكافي، ١٤٠٢، ٢٠-٧٠) ويعده الخياط في كتاب الانتصار من زعماء الشيعة المعتزلة، (خياط، ١٩٨٨: ١٥٦) ويعتبره الذهبي (الذهبي، ١٤٧١: ج ١٠، ٥٥٠)، وله كتاب في الإمامة (صفدي، د.ت: ج ٤، ٢٨)، والذي ذكره ابن الحديد تحت عنوان والمقامات في مناقب أمير المؤمنين (ابن ابي الحديد، ١٣٧٨: ج ١، ٧؛ وكذلك: الذهبي، ١٤٧١: ج ١٠، ٥٥٠). وفي السياسة، على الرغم من قبوله لمشروعية خلافة عثمان وقبوله لإمامة المفضول على الفاضل (أو الأفضل)، نراه يفضل عليّاً بكلّ صراحة وفي هذا المجال يرفض كتاب العثمانية للجاحظ البصري (ابن ابي الحديد، ١٣٧٨: ج ١٣، ٢١٥). ويصرّح الإسكافي في رديته على الرسالة العثمانية للجاحظ بأنه لا يُنكر أفضلية أحدٍ من الصحابة وماضيهم المشرق، ولكنه لا يقدم أحداً منهم على عليّ (ع)، ويذكر حججاً كثيرة بأنّ علياً كان أول من أسلم وبيّن فضائل علي (ع) استناداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار (مسائل الإمامة، ١٩٧١: ٥٣).

عباد بن سليمان الصيمري (م ٢٥٠) من تلامذة هشام بن عمرو الفوطي (ابن حزم، د.ت: ج ٣، ٧٩؛ ابن حجر، ١٤٠٦: ج ٣، ٢٢٩) وكان يعتقد أنه عندما تتخذ الأمة

شكلها وعندما تكون صالحة وبعيدة عن الظلم تكون بحاجة إلى الإمام ليدبّر أمورها ويمسك بزمامها، وإن سلكت سبيل العصيان والبغي والفجور لا تحتاج إلى إمام (ابن حزم، د.ت: ج ٤، ١٥٤). ويعتقد أنه لا يجوز أن يكون هناك إماماً بعد علي (ع) ويبرهن ذلك قائلاً؛ لقد اجتمعت الأمة في عهد أبوبكر وعمر وعثمان وعلي (ع) على الإجماع، واختلفت بعد علي (ع) على ضرورة وجود الإمام أو عدم وجوده. فإن جاز أن يكون هناك إماماً بعد علي (ع) ينبغي ألا يكون هناك أي اختلاف حول هذا الموضوع. لأنّ الأمة لا تجتمع على ما تختلف عليه (الأشعري، ١٩٩٩: ج ١، ٤٩٥). كما كان يعتقد أنّ علياً لم يخضع للتحكيم ولم يُقرّ به (المصدر نفسه: ج ١، ٤٥٤).

وكان نجاح محسن يعتقد أنه لم يكن بين المعتزلة وحتى من بين معتزلة بغداد أحد يُقرّ بوجود نصّ صريح حول شخصية خاصة. وكان معتزلة بغداد يعتقدون بتفضيل علي (ع)، ولكن بعد فترة وبعد قبولهم لضرورة إمامة المفضول على الأفضل حسب تشخيص صلاح المسلمين من جانب أهل الحلّ والعقد (الشورى)، وأنفقوا على المساواة بين الاعتقاد بأفضلية علي (ع) وإمامة المفضول، لأنهم يزعمون أنّ الأفضل أمرٌ معنوي ويتعلّق بالشؤون الدينية والإمامة قضية سياسية وتتعلّق بالأمر الديني (١٣٨٥: ١٠٨).

٢.٣ المعتزلة والمعتقدون بنمط الإمامة الفاضلة

المعتقدون بالإمامة الفاضلة لم يتفقوا على نتيجة واحدة. ومن هذا المنطلق، تتماثل الفرقة الأخيرة مع أولئك الذين تقبلوا الإمامة المفضولة في نتيجة موضوعية الإمامة في سنتها التاريخية. وكان أبو الهذيل العلاف (م ٢٣٥هـ) يؤمن بالوجوب العقلي في معرفة الله قبل الشرع، وكان يقول: يمكن معرفة الله عن طريق العقل والحجة (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٧٦). وأسلوب حجّة أبوالهذيل في المناظرات مع المناوئين كان على أساس المجادلة، ليتسنى له إقناعهم بهذه الطريقة. وكان يتناظر مع النصاري والزنادقة على أساس الأدلة العقلية ليتمكن من إقناعهم (ابن خلكان، د.ت: ج ٤، ٢٦٦). وإضافة إلى الأدلة العقلية كان يعتمد على الآيات والرويات. وفي موضوع الإمامة: وعلى عكس واصل بن عطا وعدد آخر من المعتزلة، لم يُقرّ

أبو الهذيل بصحة الإمامة المفضولة على الفاضلة، لأنه ليس هناك مقاماً بعد النبوة أعلى من الإمامة، وكما كان النبي (ص) هو الأفضل في أيامه، فالإمام أيضاً يكون الأفضل من الجميع في عهده. ويرى هذه الصلاحية في أبي بكر وعمر وفي السنوات الستة الأولى من خلافة عثمان، وعلى الرغم من أنه يرى أن أبا بكرًا وعليًا متساويان في الفضيلة، نراه يضع علياً بعد عمر وعثمان في دور الخلافة (ناشئ أكبر، ١٣٨٦: ٥١-٥٤؛ ملطي، ١٩٧٧: ٤٥؛ الأشعري، ١٩٩٩: ١٢؛ نوحجي، ١٣٨٦: ١٣).

ويُعتبر إبراهيم بن سيار نظام (م ٢٣١هـ) من أهم المعتزلة المعتقدين بالإمامة الفاضلة، وفي شأن الإمامة الفاضلة كان مُتفقاً مع أبي الهذيل في الرأي. وهو من كبار معتزلة القرن الثالث الهجري وعلى عكس المعتزلة الآخرين لم يُقرَّ بحجية الإجماع (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٨٠؛ البغدادي، ١٣٨٥: ١٠١). وتأثراً بالشيعة و كان يعتقد أنّ تعيين الإمام لا يكون إلا عن طريق النصّ (القرآن) والنبي (ص). واحتجّ ابن سيار على حديث العشرة المبشرة بالجنة وعلى حجّية السنّة وكان يطعن بالكثير من صحابة الرسول (ص) (المصدر نفسه: ج ١، ٨٠) وأثار كلام نظام ردود الفعل عند أهل السنّة، وزعموا أنّ أقواله مصطنعة (المصدر نفسه: ج ١، ٨١). كان مسقط رأس نظام وبيئته التي ترعرع بها فكريّاً وحضارياً هي البصرة؛ وهي من أكبر المراكز الثقافية والعلمية للعالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري. ويُعدُّ نظام وأستاذه أبو الهذيل (عبدالقاهر بغدادي، ١٣٨٥: ٨٠) وتلميذه الجاحظ من أبرز ممثلي المدرسة البصرية. وعهد نظام عهدٌ كثرت فيه ترجمة كتب أرسطو وافلاطون وتعرّف متكلمي المسلمين على هذه المؤلفات وكم كانوا يتعرّضون للذمّ والإهانة بسبب تأثرهم بكتب الفلسفة. ولم يُستثنى نظام من مطالعة كتب الفلسفة والاستنهاد من مشرب معتقداتهم (ابن المرتضى، ١٩٨٦: ٤٩-٥٠؛ شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٧٧). وتأثراً بالفلسفة، تغيّر أسلوب نظام وبعض معتقداته. وبالتدقيق والتمحيص في آراء نظام يمكننا أن نُدرك أنه كان يُؤمن أنّ العقل مصدراً لمعرفة أصول الدين (الجاحظ، ١٩٨٧: ١٧، ١١٠، ١١١، ١٢١). وحججه في بحوث التوحيد والمعاد و... تستند على المقدمات العقلية وقلمًا كان يستدلّ بالقرآن والرويات. وكان يؤمن بالوجوب العقلي للحسن والقبح والوجوب العقلي لمعرفة الله تعالى. وكان يقول: إن الإنسان

المفكر قبل استماعه للحكم ووروده فيه، إن كان يتمتع بالقدرة على تقديم الحجج (بسبب البرهان)، تُفرضُ عليه معرفة الباري تعالى (المصدر نفسه: ج ١، ٨٢) ومن معتقدات نظام المعروفة هو إنكار حجية الإجماع وإنكار حجية القياس (الشهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ٥٨).
والجموعة الثانية من المعتقدين بالإمامة الفاضلة: هم ممن يختلفون مع الجماعة المذكورة آنفاً في موضوع الفاضل ويتمائل نمط قبولهم للإمامة مع الذين يقبلون الإمامة المفضولة.

ومن أبرز هؤلاء هشام بن عمرو الفوطي (م ٢٢٦هـ) الذي يُنكر إمامة الإمام علي (ع) ويعتقد أنّ الإمامة تحصل عن طريق الإجماع (المصدر نفسه: ٢٠). وهو من المؤمنين بإمامة الفاضل ويُقرّ بإمامة الصحابة (إبن عساكر، ١٤٢١: ج ٤٩، ٥٦؛ إبن هبة الله، ١٩٩٥: ج ٤٩، ٥٦). ويعتقد أنّ إمامة الإمام علي (ع) كانت في زمن الفتنة (مقتل عثمان) وهي باطلة (البغدادي، ١٣٤٦: ١٧٢). ويرى أنّ إمامة الصحابة صحيحة (إبن هبة الله، ١٩٩٥: ج ٤٩، ٥٦). ويدعو ابن الجوزي الشيباني معتقدات هشام بن عمرو بالفضيحة (إبن ناصر الدين، ١٩٩٣: ج ٣، ٣٨٩) كما يدعوها الصفدي بالكفر الصريح (الصفدي، ج ٧، ٤٢٠). وكان أتباع هشام يعتقدون أنّ الإمامة لا تُعقدُ في زمن الفتنة، وإمامة علي (ع) جاءت في زمن الفتنة ولذلك كانوا يرفضونها (المقريزي، ١٤١٨: ج ٤، ١٧٢). ويعتبر هشام العقل مصدراً لبرهنة المعتقدات واكتساب الحقائق. وبناءً على ذلك، كان يعتبر بعض مفاهيم القرآن الكريم غير صحيحة وكان يشكك فيها عن طريق الاستدلال والحجج (البغدادي، ١٣٨٥: ١١٠). وكان يعتبر العقل مصدراً لاكتساب الحقائق ووسيلة لبرهنة المعتقدات وأكثر حججه تدلّ على أنّ هشام كان يعتبر العقل حجة في اكتساب الحقائق وإن اضطرّ للإشارة إلى الآيات القرآنية فهي لأجل انتقادها أو الردّ عليها.

ومن المعتقدين الآخرين لإمامة الفاضلة، الجاحظ (م ٢٥٥هـ) وكان يُقرّ بعدم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل (الجاحظ، ١٩٨٧: ١٩٧)، ويعتقد بإمامة الفاضل فقط وأن مقام أبي بكر يأتي بعد النبي (ص) وكان هو الأفضل من الجميع في عهده (مسائل الإمامة، ١٩٧١: ٥٦)، وتأثراً بالفلاسفة، تشير آراءه وأفكاره إلى نهج البرهاني والعقلاني في إثبات المعتقدات الإيمانية (شهرستاني، ١٣٨٤: ج ١، ١٠١) كما تؤيّد منهجه

العقلاني ومخالفته مع الظاهرية والتزامه بالنصوص. وباستخدام أنواع البراهين القياسية و الروائية كان يستدلّ الجاحظ لبرهنة المعتقدات الإيمانية أو ردّها. وفي رسالة حجج النبوة ومن خلال تقسيم الحجة بالحواس والأخبار يبيّن الجاحظ: أنّ الحواس والأخبار مقدّمة للحجج المنطقية. ويتمّ الاحتجاج عن طريق العقل. ويرى الجاحظ العقل وسيلة للمعرفة، ولكن لا يمكن إدراك المعرفة من غير الاستعانة بالحواس والروايات (الجاحظ، ١٩٨٧: ١٢٨، ١٥٨).

والحقيقة أنّ الجاحظ يقدم أدلّة منطقية عقلية ليبرهن على صحّة الأخبار والروايات. وأسلوب الجاحظ في دراسة آراء كافة المتكلمين وبرهنة أصول الدين قائم على المنطق العقلي وعلى الروايات، وقلمًا كانت تستدعيه الضرورة للإشارة إلى آيات القرآن الكريم وإلى أقوال الصحابة والمفكرين، كما كان يعتمد على آيات القرآن للتأكيد على الاستطاعة المقارنة للفعل (المصدر نفسه). وحول خلافة وإمامة الخلفاء الراشدين، يتفق الجاحظ باعتقاده مع أهل السنّة والجماعة (الجاحظ، ١٩٨٧: ج ١، ١٣). وأثارت بعض مؤلفاته حول موضوع الإمامة اهتمام المأمون (ابن النديم، ١٣٦٦: ٢٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، ١٤٠٦: ج ٤، ٣٥٥). وكتب الجاحظ رسائل في تأييد ودعم الخلافة العباسية والردّ على مخالفيهم، وجاء كتاب إمامة معاوية في الردّ على أصحاب الحديث الذين كانوا يقدّسون معاوية، وكتاب وجوب الإمامة في الردّ على الخوارج الذين لم يؤمنوا بضرورة الإمام والحاكم. وللجاحظ مؤلّفات في دعم العباسيين حول موضوع إمامتهم (المسعودي، ١٣٧٤: ج ٢، ٢٤٢) ولو استثنينا، في نهاية المطاف، الآراء الشاذّة لنظام ولعددٍ آخر من أمثال ثمام، فإنّ آراء كافة كبار المعتزلة لهذه الفترة الزمنية، على الرغم من الاختلاف في أدلّتهم في موضوع وجوب الإمامة وكيفية انتخاب الإمام وحقّه وأشكال تعيينه، كانت في النهاية نتيجة واحدة تؤكّد على صحة حقيقة الأمر في سنّة السلف.

٤. النتيجة

اختلف المعتزلة في أسلوبهم و في استخدام العقل والمنطق في البحوث الفكرية والكلامية اختلافاً كبيراً مع بعضهم البعض وبرزت نتائجها في ظهور معتقدات كلامية مختلفة. وحاولنا

من خلال هذا البحث تحديد هذا الاختلاف وتبينه عن طريق دراسة موضوعية «للإمامة» وهي من أهم وأوائل المعتقدات الكلامية. وتشير الإنجازات البحثية أنّ شخصيات المعتزلة الكبيرة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري والذي عُرف بعهد سيطرة المعتزلة على السلطة السياسية والثقافية، كانت لهم آراء مختلفة في مجال الإمامة. فبعضهم اختار الإمامة الفاضلة وبعضهم الآخر اختار المفضول كما اتفق بعضهم على صحة إمامة الصحابة، وبعضهم على الإجماع والآخر على النصّ وبعض آخر اعتبر سنة السلف مناسبة. وبناءً على ذلك، يمكن التصريح في اختلاف معتقداتهم في موضوع «الإمامة»، ولكن في النهاية تتفق الغالبية منهم على قبول تحقق الإمامة ومعتقدات غالبية شخصياتهم الكبيرة تشهد بشكل أو بآخر على صحة السنة التاريخية للخلافة في صدر الإسلام.

الهوامش

1. Josef Van Ess (1991). "Theologie und Gesellschaft Im2. Und3. Jahrhundert Hidschra Eline Geschichte des religiosen Denkens im Iruhen", Walter der Gruyter; Berlin, New York.

ولمشاهدة نصّ الكتاب، يرجى مراجعة الموقع التالي: <http://books.google.com>

وفي مركز الدراسات والبحوث حول الأديان والمذاهب وباشتراك مجموعة من مترجمي اللغة الألمانية يطوي هذا الكتاب مراحل الترجمة إلى اللغة الفارسية تحت إشراف الدكتور محمدرضا بمشتي. ولمزيد من المعلومات عن ← حيدري، أحمد علي (٢٠٩ هـ.ش). «تعريف الكلام والمجتمع، تأليف فان اس»، طبقات السماء السبع، العدد ٢٤، ص ٢١٤. ولايسعني هنا إلاّ تقديم الشكر الجزيل للدكتور حيدري لترجماته الفارسية لهذا الكتاب الذي منحه لي.

2. *Ency of Islamc*, art., "Djafar B. Mubashsher", Vol. II, 373/ Wy A. N. Nader.

المصادر

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (١٣٧٨ ق). شرح نهج البلاغة، ج ١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قاهره: دار إحياء الكتب العربية.

نيره دليل ٤٣

- ابن المرتضى (١٩٨٦ م). فضل الاعتزال وطبقات المعتزله، التحقيق: فوادسيد، الجزائر: المؤسسة الوطنية الكتاب.
- ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (١٤١٢ ق). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ١٢، التحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حجر العسقلاني (١٤٠٦ ق). لسان الميزان، ج ٢ و ٣، التحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ابن حزم (د.ت). الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ و ٤، قاهره: مكتبة الخانجي.
- ابن حزم اندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (١٩٨٧ م). رسائل ابن حزم الأندلسي، التحقيق: إحسان عباس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (د.ت). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج ٤، التحقيق: احسان عباس، بيروت: دار صادر.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله، محمد مرسي حوي (د.ت). مجله المجالس و أنس المجالس و شحذ الذاهن و الهاجس، ج ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عساکر، علي بن حسن (١٤٢١ ق). تاريخ مدينة دمشق، التحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر.
- ابن مرتضى، أحمد بن يحيى (١٩٨٨ م). المنية والأمل في شرح الملل و النحل، التحقيق: محمد جواد مشكور، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٨٨ م). لسان العرب، ج ٧، التحقيق: علي شيري، د.ب: دار احياء التراث العربي.
- ابن ناصر الدين شمس الدين محمد القيسي الدمشقي (١٩٩٣ م). توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة و أنسابهم و ألقابهم وكنائهم، التحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ج ٧، بيروت: دار النشر؛ مؤسسة الرسالة.
- ابن ندم، محمد بن اسحاق (١٣٦٦ ش). الفهرست، الترجمة: رضا تجدد، طهران: اميركبير.
- ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، أبي القاسم علي بن الحسن (١٩٩٥ م). تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأمثال، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، بيروت: دار الفكر.
- أبو زيد، نصر حامد (١٣٩١ ش). رويکرد عقلائي در تفسير قرآن؛ پژوهشي در مسئله مجاز در قرآن از نظر معتزله، الترجمة: احسان موسوي خلخالي، تهران: نيلوفر.
- اسفرايني، طاهر بن محمد (١٩٨٣ م). التبصير في الدين و تمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، التحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت: عالم الكتب.
- أشعري، أبي الحسن علي بن اسماعيل (١٩٩٩ م). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، التحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

٤٤ دراسة فكرة «الإمامة» لكبار متكلمي المعتزلة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري

- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (١٤١٠ ق). المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ج ١، التحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، رياض: مكتبة الرشد.
- بغداد، أبو بكر أحمد بن علي خطيب بغداد (١٩٧٩ م). تاريخ بغداد، ج ٧، بيروت: دارالكتب العلمية.
- بغداد، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (١٣٤٦ ق). أصول الدين، استانبول: مطبعة الدولة.
- بغداد، عبد القاهر (١٣٨٥ ش). الفرق بين الفرق در تاريخ مذاهب اسلام، المقدمة، التعليق والترجمة: محمد جواد مشكور، طهران: إشرافي.
- بوعمران، شيخ (١٣٨٢ ش). مسئلة اختيار در تفكر اسلامي و پاسخ معتزله به آن، الترجمة: اسماعيل سعادت، طهران: هرمس.
- جاحظ، عمرو بن بحر (١٩٨٧ م). رسائل الجاحظ. الرسائل الكلامية. كشاف آثار الجاحظ، بيروت: دار و مكتبة الهلال.
- جارالله، زهدي حسن (١٩٤٧ م). المعتزلة، القاهرة: مطبعة مصر.
- جدعان، فهمي (٢٠٠٠ م). المحنة؛ بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- جعفري، يعقوب (ربيع ١٣٧٤ ش). «ديدگاههاي مختلف معتزله بصره و معتزله بغداد»، مجلة كلام اسلامي، العدد ١٣.
- جعفريان، رسول (١٣٧٢ ش). «زمينههاي قرابت شيعه و معتزله در قرن سوم»، مجموعة المقالات في مؤتمر شيخ مفيد، العدد ٩٥.
- حموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (١٩٩٥ م). معجم البلدان، ج ١ و ٣، بيروت: دارصادر.
- حيدري، احمد علي (١٣٨٣ ش). «معرفي كلام و جامعه اثر فان اس»، مجلة هفت آسمان، العدد ٢٤.
- خياط، عبدالرحيم بن محمد (١٩٨٨ م). الانتصار والرّد علي ابن الراوندي الملحد، التحقيق محمد حجاري، قاهره: مكتبة الثقافية الدينية.
- دائرة المعارف بزرگ اسلامي (١٣٧٨-١٣٨٩ ش). الإشراف محمد كاظم موسوي بجنوردي، ج ٥، ١٠، ١٨، ١٧، طهران: دائرة المعارف بزرگ اسلامي.
- دهخدا، علي أكبر (١٣٧٧ ش). لغت نامه دهخدا، الإشراف: محمد معين و سيدجعفر شهيد، ج ١٠، طهران: دانشگاه تهران.
- ذهبي، (١٤١٧ ق). سير أعلام النبلا، ج ١٠، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (١٩٩٣ م). تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام، التحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت: دارالكتاب العربي.
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد (١٤٢٠ ق). محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء، التحقيق عمر فاروق طباع، بيروت: دار أرقم بن ابي الأرقم.

نیره دلیر ۴۵

- ربانی گلپایگانی، علی (۱۳۸۱ ش). «خلافت و امامت در کلام اسلامی»، مجله انتظار موعود، العدد ۴.
- سبحانی تبریزی، جعفر (الصیف ۱۳۷۱ ش). «تفاوت‌های جوهری دو مکتب کلامی: شیعه و معتزله»، مجله کلام اسلامی، العدد ۲.
- السبکی، تاج‌الدین ابی نصر عبدالوهاب بن علی بن عبدالکافی (د.ت). طبقات الشافعية الكبرى، ج ۲، تحقیق عبدالفتاح محمدالحلو و محمود محمد الطناحي، د.ب: داراحیاء الكتب العربية.
- سلطانی، مصطفی (۱۳۹۳ ش). «معتزله بصره و بغداد: تمایزها و تفاوت‌ها»، پژوهش‌نامه مذاهب اسلامی، العدد ۱.
- شهرستانی، محمد بن عبدالکریم (۱۳۸۴ ش). توضیح الملل، الترجمة: الملل والنحل، التحرير: مصطفی خالقداد هاشمی، المقدمة والتصحيح و التعليق محمدرضا جلالی نائینی، طهران: اقبال.
- الصفدي (د.ت). السوافي بالوفيات، ج ۳ و ۷، مصدر الكتاب: موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>، [الكتاب مرقم آلیا غیر موافق للمطوع].
- صفی‌پوری طالب‌نژاد، عبدالرحیم بن عبدالکریم (۱۳۷۷ ش). منتهی الأرب فی لغه العرب، طهران: اسلامیة.
- طوسی، الجعفر بن الحسن (۱۳۸۴ ق). تلخیص الشافعی، التحقیق: السید حسین بحر العلوم، ج ۴، طبعة النجف.
- فاضل، محمود (۱۳۶۲ ش). معتزله؛ بررسی و التحقیق در احوال و آراء و افکار و آثار معتزله، طهران: مرکز نشر دانشگاهی.
- قاضی عبدالجبار (د.ت). المغنی فی ابواب التوحید و العدل، التحقیق أحمد فواد الأهواني، الإشراف: طه حسین، قاهره: الدارالمصرية للتالیف الترجمة.
- کرون، پاتریشیا (۱۳۸۹ ش). تاریخ اندیشه سیاسی در اسلام، الترجمة: مسعود جعفری، طهران: سخن.
- گولد، جولوس و ویلیام ل. کولب (۱۳۷۶ ش). فرهنگ علوم اجتماعی، الترجمة: مصطفی ازکیا و آخرون، التنقیح: محمد جواد زاهدی مازندرانی، طهران: مازیار.
- مادلونگ، ویلفرد (۱۳۸۷ ش). مکتب‌ها و فرقه‌های اسلامی در سده‌های میانه، الترجمة: جواد قاسمی، مشهد: بنیاد پژوهش‌های اسلامی.
- محسن، نجاح (۱۳۸۵ ش). اندیشه سیاسی معتزله، الترجمة: باقر صدیقی نیا، طهران: علمی و فرهنگی.
- محمد مرتضی الزبیدی (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، ج ۸، مصر: دار مکتبة الحیات.
- مرداوی حنبلی، علاء‌الدین ابی الحسن علی بن سلیمان (۱۴۲۱ ق). التحبیر شرح التحرير فی أصول الفقه، ج ۲، تحقیق عبدالرحمن الجبرین، عوض القرنی، أحمد السراج، ریاض: مکتبة الرشد.
- مسائل الامامة (۱۹۷۱ م). منسوب به ناشیء اکبر، تحقیق فان اس، بیروت: د.ن.

٤٦ دراسة فكرة «الإمامة» لكبار متكلمي المعتزلة في الشطر الأول من القرن الثالث الهجري

مسعودي، علي بن الحسين (١٣٧٤ ش). *مروج الذهب و معادن الجوهر*، ج ٢، الترجمة: أبو القاسم پاينده، طهران: علمي و فرهنگي.

مفيد، محمد بن نعمان (١٣٣٩ ش). *مجالس در مناظرات (الفصول المختارة من العيون والمحاسن معروف به مجالس*، ج ١، جمال الدين محمد بن آقاسين التحقيق خوانساري، مصحح: خاناباا مشار، طهران: رنگين.

مقدم، حامد (الخریف ١٣٩١ ش). «جايگاه نص در مباني امامت با رويکرد تطبيقي به آراء معتزله، اشاعره، اهل حديث و اماميه»، *مجله امامت پژوهي*، السنة ٢، العدد ٧.

مقريزي، أحمد بن علي (١٤١٨ ق). *المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار*، ج ٤، التحقيق: منصور خليل عمران، بيروت: دار الكتب العلمية.

ملطي شافعي، أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن (١٩٧٧ م). *التنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع*، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

مهديويان، محبوب (١٣٨٧ ش). «خلفاي نخستين عباسي و فلسفه و كلام»، *مجلة تاريخ و تمدن اسلامي*، العدد ٣٦.

ناشي أكبر (١٣٨٦ ش). *فرقه هاي اسلامي و مسئله امامت*، الترجمة: علي رضا ايماني، قم: مركز مطالعات و التحقيقات اديان و مذاهب.

نجف زاده، علي رضا (١٣٨٩ ش). «افضليت امام از ديدگاه فرق كلامي»، *مجلة فلسفه و كلام*، العدد ٨٤.

نصري نادر، البير (١٩٥٠ م). *فلسفه المعتزلة*، اسكندرية: مطبعة دار نشر الثقافية.

نويختي، حسن بن موسى (١٣٨٦ ش). *فرق الشيعة*، الترجمة: محمدجواد مشكور، طهران: علمي و فرهنگي.

يزدي مطلق (فاضل)، محمود (١٣٨١ ش). *امامت پژوهي؛ بررسي ديدگاهي اماميه*، معتزله و اشاعره، مشهد: دانشگاه علوم اسلامي رضوي.

يوسفوند، بتول (١٣٩٠ ش). «معتزله و روابط آن با خلافت عباسي در عهد اول»، *مجلة فرهنگ پژوهش*، العدد ١١.

Ency of Islamc, art., "Djafar B. Mubashsher", Vol. II, 373/ Wy A. N. Nader.

Josef Van Ess." Theohogie und Gesellschaft Im2. Und3. Jahrhunder Hidschra Eline Geschichte dcs religiosen Denkens im Iruhen ." Walter der Gruyter; Berlin. New york.1991. (الترجمه: فارسي منتشر نشده مورد استفادة واقع شده است).

Webster, Noah (1962). *Webster's new Twentieth century dictionary unabridged*, Vol. II, second edition, the world publishing company Cleveland and New York.